

## نشأة العصبية الأندلسية ودورها في تطوير الأدب العربي

الدكتور عبد الرحمن واني\*

هاجر السوريون واللبنانيون إلى أمريكا الشمالية والجنوبية منذ المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى المنتصف الأول للقرن العشرين. وكانت الهجرة إلى أمريكا الشمالية في بداية الأمر فحسب ولكن لم يلبث حتى هاجر عدد كبير من اللبنانيين والسوريين إلى أمريكا الجنوبية. لم يختلط المهاجرون بمواطنين أمريكا الشمالية أو الجنوبية في بداية الأمر لأن البيئة الثقافية الجديدة كانت مختلفا كلّ الاختلاف ولهذا مكثوا في جاليات بعيدة عن الثقافات الجديدة طبعوها بطوابعهم الشرقية. لاحتفاظ لغتهم ووراثتهم أصدروا الجرائد والمجلات وبعد ذلك انشأوا النوادي والروابط لاحتفاظ اللغة العربية وثقافتهم<sup>(١)</sup>. تعلموا اللغات الانجليزية والبرتغالية والأسبانية وغيرها ونشروا في المجلات والجرائد الأبحاث الأدبية والمعالجات الاجتماعية. وكان من نتائجهم تراث أدبي قيم فيما بعد يمثله في أمريكا الشمالية جبران وأمين الريحاني وأيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة ورشيد أيوب كما يمثله في أمريكا الجنوبية الياس فرحات والشاعر القروي وفوزي المعلوف وشفيق المعلوف وغيرهم وجلّهم من اللبنانيين<sup>(٢)</sup>. ومن الروابط والنوادي التي أسسها المهجريون في

\* الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية، بجامعة كشمير.

البرازيل هي "رواق المعري" التي أسسها فريق من الشباب، ومنهم من يحمل مشعل الأدب ومنهم من يتذوق الأدب، وراحوا يعقدون الجلسات الأدبية، وزادهم فيها القصائد التي كان تطلع بها الصحف المصرية، في طليعة الشعراء الذي كان نتاج أفكارهم مدار البحث في تلك الجلسات: أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران. ولم تنتج هذه المؤسسة الأدبية عمليا إلا إصدار ديوان تذكاري المهاجر لقيصر المعلوف وهو أول ديوان من الشعر العربي صدر في العالم الجديد ولكنها مهدت السبيل لتأسيس صحف عديدة ظهرت في فترات متفاوتة، عدا عن أنها شحذت القرائح، ودفعت البعض من المؤسسين إلى انتهاج مسلك الأدب".<sup>(3)</sup>

والجمعية الأخرى هي "الرابطة القلمية" التي أسست في ١٩١٦م في أمريكا الشمالية ولكن اختفت بعد بضع شهور ثم أسست مرة ثانية في عام ١٩٢٠م برئاسة جبران خليل جبران ومكثت حتى وفاة رئيسها في عام ١٩٣١م. أدت الرابطة رسالتها في عمر قصير في العالم العربي ككله. وبعد وفاة جبران تبعثر أعضاء الرابطة ولكن في نفس الوقت ظهرت جمعية أخرى في المهجر الجنوبي وهي "العصبة الأندلسية" لسد الفراغ الذي تركه انتشار الرابطين. والعصبة الأندلسية تألفت في مدينة سان باولو بالبرازيل في يناير ١٩٣٣م من الكتاب والشعراء في تلك البلاد فنفذها الشاعر اللبناني المهاجر ميشال المعلوف ودعمها بالبذل السخي والرعاية. وكان صاحب الفكرة في تأسيسها المرحوم شكر الله الجرّ ولعل السبب في هذه التسمية لعصبتهم هو الجو الأسباني الذي يطبع الحياة العامة في أمريكا الجنوبية، وكأنه قد أثار كوامن الشجن في نفوس هؤلاء المهاجرين وأعادهم إلى ذكريات العرب أيام مجدهم بالأندلس. وقد فسّر حبيب مسعود

معنى تسمية جمعيتهم هذه بالعصبة الأندلسية فقال "إنّه التّيمّن بالتراث الغالي الذي تركه العرب في الأندلس، والإشارة إلى ابتعاد عن التطرف الذي اتّسمت به الرابطة القلمية"<sup>(٤)</sup>.

وكذلك نلاحظ أنّ غلبة الجانب المحافظ على أدب العصبة الأندلسية يرجع إلى بعدهم عن تيارات الثقافة الغربية في البرازيل بالنسبة لأبناء الرابطة القلمية الذين استقروا في "نيويورك" ولعله يرجع أيضا إلى أن معظم أبناء هذه المدرسة لم ينالوا حظا وفيرا من التعليم فكانت ثقافتهم الشعرية ثمرة جهدهم الخاص، وكان الشعر العربي القديم يمثل لهم النموذج الذي يجب احتذائه بحسبانه المحصلة النهائية للشعر العربي.<sup>(٥)</sup>

ومن أعضاء العصبة البارزين: شكر الله الجر ورشيد الخوري ونظير زيتون وجورج المعلوف وتوفيق قربان واسكندر كرباج والياس فرحات وعقل الجرّ وحبیب مسعود وأنيس الرأسي وشفیق المعلوف وتوفيق ضعون وقيصر الخوري ونصر سمعان ويوسف اسعد غانم ويوسف البعيني وجورج حسون المعلوف وغيرهم. أما رئاسة العصبة الأندلسية فقد آلت تباعا إلى ميشال المعلوف والشاعر القروي، ثم إلى شفيق المعلوف.

وظلّ أعضاء العصبة ينشرون إنتاجهم الأدبي في مجلة الأندلس الجديدة لصاحبها شكر الله الجرّ لعدة عام، ثم صدر العدد الأوّل من مجلة العصبة الأندلسية عام ١٩٣٤م وتولّى حبیب مسعود رئاسة تحريرها. وقد ظلت هذه المجلة منارا مضيئا حتى سنة ١٩٤١م حيث توقفت عن الصدور بناء على أمر من رئيس جمهورية البرازيل الذي منع بموجبه إصدار أي كتاب أو صحيفة أو منشور في غير لغة البلاد الرسمية ولكنها عادت إلى الصدور سنة ١٩٤٧م بجهود شفيق المعلوف وعطائه السخي، وعاد حبیب

مسعود إلى رئاسة تحريرها من جديد ولكنها عادت وتوقفت نهائيا في عام ١٩٥٤م. (٦)

كانت هذه المجلة مجلة راقية تقع في ١٠٠ صفحة تقريباً من القطع المتوسط عدا صفحات الاعلانات التجارية، وكانت مجلة شهرية يحمل غلافها في كل عدد صورة لأثرياق، أو مكان معين في أرض الوطن، أو لوحة فنية. ضمت المجلة على صفحاتها مقالات عربية وأخرى معربة، تشمل فروع المعرفة من الآداب والعلوم والفنون الإنسانية، وهناك الشعر العربي القديم والمعاصر والشعر الغربي والمواضيع العلمية والثقافة العامة وبعض الأخبار. أما باقي صفحات المجلة ففيها أبواب ثابتة تحت عناوين مختلفة تنظمها في كل عدد منها باب مباحث لغوية وباب نوادر وفكاهات وهو من طرائف العالمية وباب مؤلفات وهو للمؤلفات التي تصدرها "العصبة الأندلسية" أو الصادرة في الشرق العربي وباب طرائف علمية للأخبار العلمية القصيرة وباب من الأدب العربي وهو يعرض نص أدبي أو للحديث عن أحد أدباء المشرق أو لنشر بعض المقالات من صحافة المشرق وباب من أدب الغرب وفيه ما تترجمه أعضاء "العصبة الأندلسية" من الأدب الغربي إلى العربية وتقدمه للقراء. وقد قدمت المجلة للأدب العربي خلال مسيرتها مجموعة من الأعداد الخاصة التي تتم على المجهود الذي بذله القائمون عليها ومن هذه الأعداد:

١. عدد خاص عن شاعر العرب المتنبي في ذكرى مرور ١٠٠٠ سنة على وفاته، وذلك في آب ١٩٣٥م.
٢. عدد ممتاز في كانون الأول ١٩٤٠م، متعدد المواضيع ضم قسماً خاصاً من الشعر والنثر باللغة البرتغالية.
٣. عدد خاص لنشر رواية الشاعر فوزي المعلوف "ابن

حامد وسقوط غرناطة" في عدد تشرين الأول ١٩٥٢م.  
أما انشاء العصبة الأندلسية فلا تختلف أهدافها عن  
أهداف الرابطة القلمية كثيرا. فهناك رغبة مشتركة في الحفاظ  
على اللغة العربية وبتّ روح التآخي بين الأدباء في المهجر  
وجمع شملهم ورعايتهم وتسهيل نشر إنتاجهم في المجلة أو من  
خلال المجموعات والدواوين الشعرية وأقامة جسر حيّ بين هذا  
الأدب ونظيره في الوطن العربي الكبير خصوصا بعد توقف  
نشاط الرابطة القلمية.

وعلى طراز المآل الذي انتهت إليه الرابطة القلمية في  
نيويورك بوفاة جبران خليل جبران قد انتهت العصبة الأندلسية  
في أثر وفاة بعض أعضائها وانفضاض البعض الآخر من حولها  
وعودة الآخرين إلى الشرق كل ذلك بعد أن قدّموا للأدب عصارة  
قلوبهم وعقولهم تاركين للأجيال خلفهم ثروة أدبية مهجرية يفخر  
بها الأدب العربي المعاصر. ويظلّ جزءا مهما فاعلا في دائرة  
الابداع الأدبي الحديث.

وكان أعضاء العصبة الأندلسية فريقين، فريق من  
الشعراء وآخر من الأدباء الناثرين. أمّا الشعراء فهم: رشيد سليم  
الخوري الشاعر القروي وقيصر سليم الخوري الشاعر المدني  
وشكر الله الجرّ صاحب فكرة انشاء تلك العصبة والياس فرحات  
ونصر سمعان ورياض المعلوف وشفيق المعلوف ونعمة قازان  
وجبران سعادة وميشال المعلوف وعقل الجرّ وحسني غراب  
 وغيرهم الذين انتشروا في أنحاء البرازيل.

وكان نتاجهم من الشعر قصائد كثيرة بجانب الدواوين  
التي أصدروها على الرغم من اختلافهم في مستوى الثقافة  
ومنهم من مزج بين العربية واللغات الأخرى فأثر وتأثر.

ومن الناثرين فهم حبيب مسعود ونظير زيتون ويوسف

البعيني. وكان حبيب مسعود رئيس التحرير لمجلة العصبة منذ صدورها حتى احتجاجها. كما كان خطاطا جميل الخط وقد كتب بخطه الجميل "ملحمة عبقر" لشفيق المعلوف. كما كان هناك توفيق ضعون وجورج حسون المعلوف من مشاهير الناشرين المهجريين.

وكان القروي والفرحات ومن قبلهما أبو الفضل الوليد شعراء الوطنية وكانت أصواتهم الشعرية الوطنية تصل إلى الشرق مدوية. فتتردد أصدائها في كل مكان. وكان أول بروز القروي على أثر الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥-١٩٢٧) في ديوانه الأعاصير الذي منعت السلطات الاستعمارية الفرنسية دخوله إلى سوريا ولبنان.

أمّا شفيق المعلوف فقد تميّز بالشاعرية الرقيقة والخيالات المحلّقة والصور الناعمة والعبارة الدقيقة العذبة ويظهر ذلك كلّه في جميع دواوينه الشعرية أو كما يتجلّى في ملحمة "عبقر". وكان شكر الله الجرّ شاعرا رقيقا كذلك، جميل الصور والخيالات الشعرية. كما يتجلّى ذلك في دواوينه الشعرية المتعددة من "الروافد" و "زنايق الفجر" المطبوعين في البرازيل إلى آخر دواوينه العديدة التي صدرت في لبنان حتى وفاته ١٩٧٥م. وكان كذلك ناثرًا وله كتابان نثران مطبوعان في البرازيل هما "المنقار الأحمر" و "نبي أورفليس" كما صدرت في الوطن روايتان طويلتان.

وشجعت العصبة على نشر إنتاج الشعراء البارزين من أعضائها فنشرت من الدواوين "ديوان للقروي" و "أحلام الراعي" للشاعر الياس فرحات و "زنايق الفجر" و "الروافد" للشاعر شكر الله الجرّ و "عبقر" و "لكل زهرة عبير" و "نداء المجاديف" للشاعر شفيق المعلوف وذلك بالإضافة إلى ثلاثة

عشر مجلدا من مجلة العصابة بعدد سنوات صدورها، حافلة بالمقالات والنقد والشعر والقصص وغير ذلك.<sup>(٧)</sup>

يتفق المؤرخون على أن المهجريين في أمريكا الشمالية والجنوبية وفي البلدان الأخرى قد أدوا للعالم العربي رسالة كبرى عندما ألفوا كتبًا بلغات أجنبية ضمنوها رسالة الشرق الروحية وتاريخ حضارة الأمة العربية وثقافتها شارحين فلسفتها وآدابها وعلومها، مترجمين سير المشاهير من رجالها وأثار الكبار من شعرائها. كتبوا باللغة الانجليزية للولايات الشمالية وبالأسبانية لأمريكا اللاتينية وبالبر تغالية لجمهورية البرازيل. كتب جبران والريحاني ونعيمة والدكتور فليب حتي والدكتور نبيه فارس والدكتور حبيب كاتبه ويوسف الغريب في اللغة الانجليزية.

ولم ينظم الشعر بالانجليزية إلا جبران ونعيمة ومسعود سماحة بل ألف جميل منصور حداد عشرين كتابا في اللغة الانجليزية. وكذلك علمت مدرسة وديع اليازجي في سان باولو برازيل اللغة العربية لخمس ألف طالب من أبناء العرب وغيرهم.

وهكذا نفذ الأدب المهجري إلى الأوساط العلمية حاملا رسالة العروبة فقرأه الأمريكي والانجليزي والفرنسي والأسباني.<sup>(٨)</sup>

ولقد كان أدب الرابطة القلمية والعصابة الأندلسية بعيد الأثر في لبنان والعراق والحجاز والمغرب ومصر وقد نال ايليا أبو ماضي شاعر الرابطة القلمية الحظوة في سوريا والعراق حتى يقال إن لدواوين أبي ماضي رواجاً في العراق لا يطاوله أي ديوان آخر. وكذلك كان المجاهدون يرددون شعر الشاعر القروي في حوران

وجبل الدروز وأطراف الجزيرة.<sup>(٩)</sup>

إنّ روح التقليد قد تسيطر أحياناً على شعراء  
العصبة الأندلسية في بداية طريق نضجهم الشعري حتى  
يستقلون بمذهب وهكذا كان بعضهم ظلّ حبيس أفق يتعداه  
وبعضهم استكشف آفاقاً جديدة أثرت حياة شعراءنا العربي  
الحديث. وإنّ الأدب العربي في البرازيل استطاع أن يعبر  
عن مشاعر صاحبه ويصوّر ما ارتسم في تفكيره ويسجّل  
ما رآه من وقائع يومه بأسلوب عربي متين تشعر معه  
بالقوة والحياة، ولا ترى فيه بلبلّة في التركيب، ولا رطانة  
في التعبير ولا تشويشاً في الصيغة.

## الحواشي:

١. محمد عبد الغني حسن، الشعر العربي في المهجر، دار مصر للطباعة ١٩٥٨م، ص: ٢٣-٢٤.
٢. جوزيف الهاشم، المفيد في الأدب العربي، الجزء الثاني، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت ١٩٦٤م، ص: ١٣٢.
٣. الياس قنصل: أدب المغتربين، سلسلة ثقافة الشعبية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص: ٢٨-٢٩.
٤. جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأمريكية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٦م ص: ٣٨٢.
٥. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي الحديث، الجزء الثالث، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص: ٢٨-٢٨.
٦. عبد الرحيم محمود زلط: العروبة في شعر المهاجر الأمريكي الجنوبي، دار الفكر العربي، ص: ١٠٥-١٠٧.
٧. عبد الرحيم محمود زلط: ص: ١٠٦.
٨. أنور الجندي: الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والحريّة والتجمع (١٨٣٠-١٩٠٩) مطبعة الرسالة ١٩٥٩ - ٢ شارع حمودة المقاول - عابدين، ص: ٤٢٠-٤٢٣.
٩. مقالة ظهرت في مجلة "العربي" بعنوان رحلة الآداب العربي، في المهاجر الأميركية "للدكتور عيسى الناعوي، ص: ١٠٣.